ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

موقف المستشرقين من الوحي الإلهي

Orientalists' Position regarding Divine Revelation

Dr. Ali Abdelkareem Khlaif Alhawamdeh

د. علي عبد الكريم خليف الحوامدة

Aliabdalhawamdeh@yahoo.com

تاريخ إرسال البحث: 1 / 1 / 2025 تاريخ قبول البحث: 1 / 3 / 2025

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة موقف المستشرقين من الوحي الإلهي في الإسلام، وتبحث الدراسة في مواقف المستشرقين التي بدت عدائية متعصبة في كثير من دراساتهم، ووجدت بعض الآراء التي يمكن أن توصف بالموضوعية. وتقوم هذه الدراسة على المنهج التحليلي الذي يفصل في آراء المستشرقين في قضية الوحي، وقامت الدراسة للإجابة عن سؤال الدراسة: ما موقف المستشرقين من الوحي الإلهي؟. وبينت نتائج الدراسة عددًا من الشبهات التي أثارتها دراسات المستشرقين حول قضية الوحي الإلهي، وناقشتها مع الرد عليها.

الكلمات المفتاحية: موقف. المستشرقون. الوحي الإلهي. الإسلام.

Abstract: The purpose of the study is to investigate the position of Orientalists regarding divine revelation in Islam. The study discussed the positions of Orientalists that appeared hostile and fanatical in many of their studies, further, there were some opinions that can be described as objective. This study adopted the analytical approach within presenting Orientalists visions of revelation. The study sought to answer the study question: What is the position of Orientalists on divine revelation?. The results of the study revealed a number of doubts raised by Orientalist studies on the issue of divine revelation, discussing them and defending the Islamic view.

Key Words: Position. Orientalists. Divine Revelation. Islam

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

مقدمة

الحمدُ لله حمدًا طيبًا كثيرًا على كريم فضله، وجزيل إحسانه، لما وفقني به من إتمام هذه الدراسة، فله – جلّ جلاله– الشكرُ والحمدُ أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا وبعد،

لقد اهتم المستشرقون منذُ القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) بالإسلام وحضارته وتاريخه وقضاياه في مختلف المجالات، وقد اتّضح هذا الاهتمام من خلال دراساتهم المستفيضة قديمًا وحديثًا عن الإسلام وحضارته سلبًا وإيجابًا، كما كان لها أثرٌ على واقع العالم الإسلامي؛ لما لها من أثر كبير في تشكيل الرأي العام في العالم العربي، وفي صياغة أفكاره وتحديد مواقفه نحو الإسلام والمسلمين؛ وهذا ما دفعني إلى هذه الدراسة التي كانت مشكلتها اهتمام المستشرقين بالإسلام وحضارته.

وقد وجدتُ من بين هذه الدراسات دراسات شوهت النظرة إلى الإسلام وتاريخه بسبب عدم التزام أصحابها بالحيادّية والموضوعية؛ لأنّ منطلقهم كان استعماريًا خالصًا، وعقلهم كان عنصريًا متعصبًا، أما عقيدتهم فهي عقيدة عدائية للإسلام والمسلمين، على أننا وجدنا دراسات أنصفت الإسلام والمسلمين؛ لأنها التزمت الحيادّية التامة، والموضوعية المطلقة، ذلك أنها كانت تسعى إلى الحقيقة وحدها وهدفها كان علميًا خالصًا.

لقد تناول المستشرقون موضوعات كثيرة قديمًا وحديثًا، كان من بينها بل وأهمها موضوع الْوَحْي الْإِلَهِيُّ، ونظرًا لوجود آراء متعددة حول هذا الموضوع؛ فإنني أطرح السؤال التالي: **ما هو موقف المستشرقين من الْوَحْي الْإِلَهِيُّ؟**

أمّا هدف الدراسة فيكمن في التعرف على موقف المستشرقين من الْوَحْي الْإِلَهِيُّ، والتعرف إلى أهم المدارس الاستشراقية التي أجرت دراسات حول موضوع الْوَحْي الْإِلَهِيُّ، وأهم رواد هذه المدارس ومصادرهم في دراسة الْوَحْي الْإِلَهِيُّ. كما تحاول الدراسة الوقوف على مفهوم الْوَحْي لغةً وشرعًا وأنواعه وكيفية النزول، وإثباته شرعًا وعقلًا والردود التي صاحبت هذه المواقف.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المبحث الأول: الْوَحْي الْإِلَهِيُّ

أ. الْوَحْي لغة:

الْوَحْي في اللغة" وحيتُ إليه وأوحيتُ إذ كلمته بما تخفيه عن غيره، وأصله الإشارة السريعة، وقد يكون على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصورة مجردة أو بإشارة بعض الجوارح، فيكون معناه اللغوي: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى عن غيره"[1]

والْوَحْي بهذا المعني اللغوي يطلق على:

1. الإلهام الفطري للإنسان (وهو ما يلقيه الله في روع الإنسان) كما حدث لأمّ موسى، قال تعالى **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)** [2].
2. الإلهام الغريزي للحيوان كالْوَحْي إلى النحل، قال تعالى **(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)** [3].
3. الإشارة السريعة في سبيل الرمز والإيماء، قال تعالى **(فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)** [4].
4. وسوسة الشيطان وتزيينه الشرّ في نفس الإنسان وفي ذلك يقول الله عز وجل **(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)** [5].
5. ما يلقيه الله سبحانه وتعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، قال تعالى **(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا)** [6].

ب- الْوَحْي شرعًا:

---

[1] الكردي، عبد الحميد، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، الرياض، ط1، 1992، ص 705.

[2] سورة القصص: 7.

[3] سورة النحل: 68.

[4] سورة الأنعام: 112.

[5] سورة الأنعام: 121

[6] سورة الأنفال: 12.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

هو كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه إما بكتاب أو برسالة ملك، أو منام، او إلهام، وعرّفه الإمام القسطلاني بقوله " إعلام الله سبحانه وتعالى عن أمور وقضايا ومعارف لمن اختاره الله لذلك، واصطفاه لتلقي رسالة بطرق خفية وسرية لا يعرفها البشر ولا يستطيعون اكتناه أسرارها، لأنه ليست خاضعة لمعارف البشر العادية وليسو معتاديها أيضًا"[1] .

ج. أنواع الْوَحْي

بيّن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أنّ وحيه إلى رسله يأتي على ثلاثة أنواع، هي:

1. إلقاء المعنى في القلب، فالموحى إليه لا يسمع صوتًا ولا يرى ملكًا، وإنما يلقي الله في قلبه ما يريد إلقائه إليه.
2. الكلام من وراء حجاب، ومعناه أنْ يسمع الرسول ما يردي الله إلقائه إليه.
3. تكليم النبي بواسطة جبريل، وهذا النوع وحيّ بواسطة الملك، والنوعان الأولان وحي بلا واسطة.

وهذه الأنواع الثلاثة تشير إليها الآية القرآنية **(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)** [2]

د. الْوَحْي من ناحية العقل

إن نبوة نبينا –صلى الله عليه وسلم –، ورسالته إلى الناس كافة ثابتة ومعلومة، فهو المبلغ عن ربه سبحانه وتعالى، والمعصوم فيما يخبر به في شرعه وحكمه، وقد بلَّغ البلاغ المبين عن رب العالمين، فكل ما أخبر به –صلى الله عليه وسلم – حق وصدق لا يبقى معها أدنى شك أو ريب في إمكانية وقوع الْوَحْي وثبوته. وإن كل من آمن بوجود الله وقدرته لزمه أن يسلم بموضوع الْوَحْي على أنه بديهة مسلمة لا يحتاج إلى مزيد من الأدلة؛ أما إمكانية الْوَحْي فإن العقل السليم لا يستبعدها؛ لأن الذي يؤمن بالله – عز وجل – وكماله لا يصعب عليه الاقتناع عقل ياً بإمكانية الْوَحْي من الناحية الواقعية، فالإنسان عاجز في قدرته ودنياه وطاقته

[1] الحاج، ساسي سالم، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط1، ج1، 1993م، ص351.

[2] سورة الشورى: 51.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ومع ذلك يستطيع أن يؤثر في إنسان مثله ... فما القول في قدرة الله رب العالمين، فهي أكبر وأقدر من المخلوق، ولله المثل الأعلى[1] .

إن كل ما في الكون من تقدم علمي في كل الاتجاهات والصعد، وكل ما نراه ونسمعه ممن يظهرون بمظاهر روحانية تعتبر من الخوارق التي لم يكن يعلم العلماء بوجودها يومًا ما، ولم يقدر عليها المشعوذون؛ لأنها أمور روحانية لا أثر فيها للمهارة وخفة اليد يقودنا إلى التصديق بالْوَحْي الإلهي الذي نزل على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم–.

المبحث الثاني: الاستشراق

أ. نبذة عن الاستشراق

لقد انبهر الغرب بتقدم المسلمين فأخذ يرسل البعوث إلى بلاد المسلمين من أبناءه لينهلوا من العلم الوافر الذي ملكه المسلمون في ذلك العصر، فتعلموا الطب والفلسفة والرياضيات والفلك وتعرفوا على الإسلام وأعجب الكثير منهم بالإسلام وأسلموا ولم يعودوا إلى بلادهم، وظل الغرب يدرس علوم المسلمين إلى أن قامت الحروف الصليبية واستولى الغرب على الشرط وسيطروا على فلسطين إلا أن الغرب عرف أن الحرب ليست بالطريق الذي يقضي على المسلمين، وأدروا أن أفضل طريق هو الغزو الفكري فنقلوا الكثير من المخطوطات العربية والمؤلفات، وقاموا بعمل دراسات مخصصة للقرآن والحديث وللغة العربية، حتى يستطيعوا أن يطعنوا ويشككوا فيها جميعاً[2].

فالاستشراق" هو دراسات غير الشرقيين لحضارات الشرق وأديانه ولغاته وتاريخه وعلومه واتجاهاته النفسية و أحواله الاجتماعية، وبخاصة حضارة الإسلام وأحوال الأمة الإسلامية في مختلف العصور. وللقائمين بالاستشراق دوافع بعثهم على السير فيه، وجعلت لهم أهدافاً معينة، فسلكوا لتحقيقها أساليب لم يعرفها تاريخ البحث العلمي إطلاقاً، ولم يشر إليها أحد من علماء الغرب في غير الدراسات الاستشراقية"[3].

---

[1] الصباغ، محمد بن لطفي، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، القاهرة، ط3، 1990، ص45.

[2] عتر، حسن ضياء الدين، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1999، ص 13.

[3] النملة، علي، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1418هـ، ص 100

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ولقد لقد استعمل مصطلح مستشرق «Orientalist» للمرة الأولى في مستهل عام 1766م، حيث ورد في موسوعة لاتينية للتعريف بالأب «بولينوس»، وطبقاً لبعض المؤلفين تعود بداية استعمال هذه المفردة في إنجلترا إلى العام 1779م أو 1780م[1]. ومن ثم انتقل هذا المصطلح إلى اللغة الفرنسية عام 1799م، وظهر عام 1838م في معجم الأكاديمية الفرنسية. ودخل إلى معجم أكسفورد عام 1812م[2].

لكن ظهور مختلف أنواع الاستشراق، في مراحل مختلفة سواء على المستوى التاريخي والزماني، أو البعد الجغرافي والمكاني، قد أدّى بكلّ واحد من المؤلفين إلى وضع تعريف خاص للاستشراق ينطبق على مشاهداته ومعلوماته الخاصة، الأمر الذي أفضى إلى ظهور الكثير من التعريفات المختلفة، حتى ذهب بعض المختصين في شؤون الاستشراق إلى استحالة تدوين تعريف دقيق جامع ومانع للاستشراق،[3] رغم وضوح أسبابه ودوافعه.

وهناك العديد من الدوافع لبروز ظاهرة الاستشراق ومنها الدافع الديني؛ حيث ظل العلم في أوروبا حكراً على الكنيسة ورجالها حتى عصر النهضة الأوربية، فنشأ الاستشراق برجال الكهنوت بتوجيه من الكنيسة، وقد دفعتهم العصبية الكنسية إلى تشويه حقائق الإسلام وقلب محاسنه مساوئ، فدعموا بذلك سلطانهم الديني على شعوبهم، وأوهموهم أن الإسلام دين لصوصية وسلب ونهب، وسفك دماء وزنا، وإدمان خمور وقمار وشهوات آثمة، فأعطوا صورة تافهة شنيعة عن الإسلام، لا تمت إليه بصفة من قريب ولا بعيد[4].

وهناك الدافع الاستثماري؛ إذ لم تنقطع أطماع الغرب في الشرق بعد الهزيمة الكبرى في الحروب الصليبية، فعكف علماؤه على دراسة الشرق، عقائد وعادات وأخلاقاً وثروات ولغات وتاريخياً، ودراسة خصائص الشعوب وأحوالها وجغرافية الشرق ومزاياها والمواقع الهامة فيه، فعرفوا بواعث الشرق إلى القوة والمجد ومواقع الخير والإنتاج والعبقرية والتفوق ومواقع الجدب وهزال الإمكانات والمواهب، فلما تمكنوا عسكرياً من الشرق

---

[1] زقزوق، محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مكتبة دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص20.

[2] النملة، علي، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص 115.

[3] عبد العال، إسماعيل سالم، المستشرقون والقرآن، مرجع سابق، ص15.

[4] عتر، حسن ضياء الدين، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين، مرجع سابق، ص17.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى أفادوا من خبراتهم في تحطيم قوى الشرق وإضعافه روحياً ومعنوياً واستلاب كنوزه العلمية والمادية[1].

وهناك كذلك الدافع السياسي، فقد قامت دول الغرب أثناء الاستعمار وبعده بالاستفادة من دراسات الاستشراق ، فجعلت في سفاراتها وقنصلياتها أناساً على تضلع بالدراسات الشرقية، فأدوا بذلك أدواراً كثيرة منها اقتناء عملاء لدولهم على الصعيد السياسي والفكري والتربوي والإعلامي في الإذاعة والصحافة[2].

ب. المدارس الاستشراقية

ظهر الاستشراق كحركة ثقافية لكنها مغلفة بالعنصرية والعدائية للإسلام والمسلمين؛ ونتيجة لظهور هذه الحركة ظهرت مدارس الاستشراق التي اتجهت إلى الشرق لدراسته بكل جوانبه ومثل هذه المدارس مجموعات من المستشرقين الذين اتبعوا نهج مدارسهم في نظرتهم إلى الإسلام والمسلمين.

وقد اختلف الباحثون في تصنيف مدارس الاستشراق، فمنهم من راعى التصنيف الموضوعي وذكر المستشرقين بحسب تخصصاتهم العلمية، ومنهم من اختص بالمدارس القرآنية، ومنهم من اختص بالسيرة النبوية، وفي هذا المبحث سوف نعرض للمدارس الاستشراقية بحسب انتماءات أفرادها، فهناك المدرسة الفرنسية، والمدرسة الإنجليزية، والمدرسة الألمانية، والمدرسة الإيطالية، والمدرسة الإسبانية، والمدرسة الأمريكية، والمدرسة الروسية، وغيرها:

1. المدرسة الفرنسية: تُعدّ المدرسة الاستشراقية في فرنسا من أبرز المدارس الاستشراقية، وذلك لصلتها الوثيقة بالشرق وقربها منها، وكانت فرنسا موجودة في معظم علاقات العرب بأوروبا في حالات السلم والحرب [3].

ومنذ قت طويل أنشئت كراس في المعاهد والجامعات الفرنسية لدراسات اللغات الشرقية، ومنها اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ويوجد في مكتبة باريس الوطنية اكثر من سبعة آلاف مخطوط عربي، ونوادر من الآثار الإسلامية من نقود وأختام وخرائط[4].

---

[1] زقزوق، محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 22.

[2] المرجع السابق، ص24.

[3] النبهان، محمد، الاستشراق: تعريفه ومدارسه وآثاره، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط1، 2012، ص23.

[4] عريبي، محمد ياسين، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، الجلس القومي للثقافة العربية، الرباط،1991، ص137.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ويورد النبهان عدد من رواد المدرسة الاستشراقية الفرنسية الذين اهتموا بالحضارة الإسلامية واللغة العربية، ومنهم: بوستيل (1505م– 1581) وهتم بتعلم اللغات الشرقية، ودرس اللغة العربية في فيينا، وكتب عن قواعد اللغة العربية. والبارون دي ساسي (1785م–1838م) وكان مكلفًا بالمخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية، وكتب عن قدماء العرب واهتم بكتب القزويني. وكاترمير (1782م–1852م) وكان من طلاب دي ساسي، وتميز بكثرة الإنتاج العلمي وكثرة المصنفات التي تناول فيها الإسلام[1].

وهناك كذلك العشرات من المستشرقين الفرنسيين الذين كوّنوا المدرسة الفرنسية وتابعوا مسيرة الدراسات الاستشراقية، ومنهم: شارل بيلا، ومكسيم رودنسون، وليكونت، ومكيل أندرو، وجاك بيرك، وبوسكه، ولاوست، وبلاشير، وماسينيون، وبروفنسال[2].

2. المدرسة الإنجليزية:

احتل الاستشراق دائرة الاهتمام من لدن المستشرقين الإنجليز خلال القرون الماضية وتمحورت الاتجاهات في عدة مدارس استشراقية تصدرت لدراسة الإسلام والتاريخ العربي والعقيدة الإسلامية بل حتى الثقافة والحضارة العربية الإسلامية. وكانت بعض الشخصيات التاريخية مثل السلطان صلاح الدين الأيوبي مثار الجدل بين المستشرقين الإنجليز على مدى عدة عقود نظراً لمواجهته الشجاعة للقوى الصليبية الأوروبية وأصبح بذلك يمثل محور الاهتمام في الدراسات الاستشراقية العربية والإنجليزية خاصة. وكان أول من كتب عنه المستشرق ستانلي لين بول تبنى إلى حد كبير رؤية المؤرخ في العصر الأيوبي ابن شداد صاحب كتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) ونقل صفحات من هذا الكتاب من سيرة صلاح الدين الأيوبي، ورافق المستشرق هاملتون جب الذي قدم دراسة منهجية من خلال دراسته لكتاب ابن القلانسي (ذيل تاريخ دمشق) واعتماده على ابن شداد في معرفة شخصية صلاح الدين أيضاً [3].

فقد كان ابن شداد الصديق الحميم لصلاح الدين والتحق به إعجاباً بشجاعته وحبه للجهاد وترك منصبه في الموصل واتجه إلى مهنته الأصلية كونه مؤرخاً وأكد المستشرق لايونز أن ابن شداد لا غنى عنه لكل

---

[1] النبهان، محمد، الاستشراق: تعريفه ومدارسه وآثاره، مرجع سابق، ص24.

[2] المرجع السابق، ص25.

[3] جاسم، ناصر الملا، صلاح الدين الأيوبي في الاستشراق الإنجليزي والأمريكي، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، 1992، ص64.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

من يخوض في الكتابة عن صلاح الدين الأيوبي وهو مؤرخ ثقة ومعتمد رغم قربه من صلاح الدين. وتبنى لايونز تفسيرات ابن شداد في الأحداث، وظل ابن شداد يحظى باهتمام المستشرقين الناطقين بالإنجليزية وظلت كتاباته مهمة وأساسية رغم صدور سير أخرى عن صلاح الدين عند المستشرقين أمثال لين بول ولايونز وجاكسون [1].

أما المستشرق هاملتون جب فهو في طليعة الاستشراق الإنجليزي والذي تصدر لدراسة التاريخ الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية، وقد مثل الاستشراق المنهجي ودرس في مدرسة الدراسات العليا الشرقية عام 1919 وحصل على الماجستير عن الفتوحات العربية في آسيا الوسطى ثم درس الأدب العربي وتأثر بأستاذه توماس أرنولد وأبعده عن تيار التبشير والاستشراق الديني واتجه إلى دراسة الأدب العربي المعاصر وكانت له علاقات مع الأدباء المصريين وقام بترجمة أعمال ابن بطوطة وترسخت لديه قناعات بأن مفهوم التاريخ العربي والحضارة العربية الإسلامية ينبع من أن الدين الإسلامي هو القوة الموحدة التي استطاعت أن تصهر الشعوب في بوتقة واحدة من الفكر والعقيدة وانعكست تلك في كتبه وأعماله التاريخية. [2]

وقد رقي جب إلى أستاذ خلفاً لأستاذه أرنولد وأصبح في طليعة المستشرقين الإنجليز ودرس التاريخ الإسلامي الوسيط في جامعة لندن والحروب الصليبية وصلاح الدين والدولة الأيوبية خاصة، ثم جاء لقاؤه مع أرنولد توينبي ليدفعه إلى دخول مجال الاستشراق السياسي من خلال تكليفه بعدد من الأعمال وأنجز مشروعه الضخم مع باوون في الكتاب المهم (المجتمع الإسلامي والغرب). واختير جب أستاذاً للغة العربية في جامعة أكسفورد خلفاً للمستشرق اركوليوث، وكان منصبه من أهم المناصب الاستشراقية في بريطانيا وكتب المحمدية وحياة صلاح الدين الأيوبي والاتجاهات الحديثة للإسلام تعبيراً عن اهتماماته بهذا الاتجاه[3] .

ثم تعددت لقاءاته مع المستشرقين الإنجليز والأمريكان وزياراته للبلاد العربية وأعمال في الجامعات الأمريكية، حيث انتقل إلى الولايات المتحدة وأصبح أستاذاً للغة العربية في كبرى الجامعات الأمريكية جامعة هارفارد

---

[1] جاسم، ناصر الملا، سيرة صلاح الدين الأيوبي للقاضي ابن شداد في الدراسات الاستشراقية الناطقة بالإنجليزية"، مجلة البحرين الثقافية، السنة 5، العدد 18، 1998، ص 104 – 105.

[2] النبهان، محمد، الاستشراق: تعريفه ومدارسه وآثاره، مرجع سابق، ص29

[3] جاسم، ناصر الملا، سيرة صلاح الدين الأيوبي للقاضي ابن شداد في الدراسات الاستشراقية الناطقة بالإنجليزية، مرجع سابق، ص 105–107.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وبدأ يتخذ من الدراسات العربية والإسلامية منهجاً استشراقياً أكاديمياً وقدم عمله المهم تراث الإسلام في العالم الحديث وكتابه عن صلاح الدين الأيوبي إلى أن توفي عام 1971 وترك وراءه مدرسة استشراقية إنجليزية وجيلاً من المؤرخين من شتى دول العالم ومدرسة تاريخية أكاديمية وعلمية في معالجته الموضوعية ولم يهتم بالأوضاع السياسية لكي لا ينغمر بعيداً عن التاريخ الإسلامي[1] .

وبهذا فإن الاستشراق الإنجليزي ذو اتجاهات متباينة غلبت عليه الروح السياسية وانعكس على تصور المستشرقين ومعالجاتهم للتاريخ الإسلامي، ووصفت أغلبها نظرة سلبية تجاه التراث العربي الإسلامي في محاولة للبحث عن ثغرات أو عيوب لمهاجمته. ولكن كانت هناك استثناءات أنبتت آفاقاً جديدة في التعامل مع التاريخ العربي وصنعت مدرسة واسعة في الشرق والغرب.

3. المدرسة الأمريكية

لم يبدأ الاستشراق الأمريكي بدوره العلمي والبحثي إلا بعد الحرب العالمية الثانية وتأخر بذلك كثيراً عن الاهتمامات الأوروبية الأخرى رغم أن الولايات المتحدة لها صلة منذ القرن السادس عشر، وظل المشرق يؤثر بشكل هام في علاقات الأمريكان بالشرق وورثوا من هذا الاستشراق الروح العدائية تجاه الشرق والشرقيين[2] .

وقد أسهمت عوامل عدة في ازدياد الاهتمام الأمريكي بالشرق والاستشراق وهي العلاقات التجارية والدبلوماسية للولايات المتحدة مع الدولة العثمانية وولاياتها على البحر المتوسط، وتنامي النشاط التجاري البحري مع دول المتوسط والشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية وزيادة الاهتمام الأمريكي بالبحث والتجارة والسياحة في الشرق والنشاط التبشيري الواسع مع الشرق والجهود الصحية والتعليمية ولا سيما في الشام والتي توجت بإقامة الجامعة الأمريكية ببيروت والقاهرة ومراكز البحوث والإعلام، ثم الهجرات العربية المتلاحقة إلى الولايات المتحدة بدءاً من مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومشاركة الجاليات العربية في عملية إنتاج المعرفة المتصلة بالشرق ثم الاستلهام الفني والأدبي للشرق في الأدب الأمريكي

---

[1] جاسم، ناصر الملا، سيرة صلاح الدين الأيوبي للقاضي ابن شداد في الدراسات الاستشراقية الناطقة بالإنجليزية، مرجع سابق، ص 108.

[2] عبد النبي أصطيف: "الاستشراق الأمريكي من النهضة إلى السقوط. عولمة دراسة المنطقة"، مجلة المستقبل العربي، السنة 21، العدد 233، بيروت، 1998، ص25

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

من خلال ألف ليلة وليلة وكتابات الرحالة عن مشاهداتهم عن الشرق، وزيارات الأدباء الأمريكان للشرق مما مكن من استلهام الشرق وثقافاته في الأدب الأمريكي وأخيراً هجرة كبار المستشرقين إلى الولايات المتحدة مما عزز من فاعلية النشاط الاستشراقي الأمريكي مثل هاملتون جب وفربناوم وأدين وغيرهم[1].

وقسمت الاهتمامات الأمريكية نحو الشرق على أساس جغرافي إلى شرق أقصى وشرق أوسط وأمريكا اللاتينية وأوروبا الشرقية وجنوب شرق آسيا، وانعكس على إقامة مراكز البحوث وأقسام الجامعات الإقليمية المختصة ونشر الأولويات من خلال الكتب وإقامة الجمعيات والروابط المهنية ومنح الجوائز وعقد المؤتمرات الدورية مثل (رابطة شمالي أمريكا لدراسات الشرق الأوسط) في عام 1966 ونظيرتها البريطانية (الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط) أنشئت عام 1973إلى أن ظهرت الرابطة الأوروبية لدراسات الشرق الأوسط في عام 1990 في (مركز دراسات الشرق الأوسط) في جامعة أكسفورد. ويعتقد الكثيرون أن كتابات إدوارد سعيد ربما فتحت الباب أمام المزيد من الاهتمام بالاستشراق بعد صدور كتبه عن "الاستشراق" (1978) و"قضية فلسطين" (1979) و"تغطية الإسلام" (1981 (و"لوم الضحايا" (1988) و"الثقافة والإمبريالية" (1993) [2]

ويمثل روجر أوين أبرز نقاد الاستشراق منذ أكثر من ثلاثة عقود في الولايات المتحدة ويشغل منصب أستاذ تاريخ الشرق الأوسط ومدير مركز هارفارد لدراسات الشرق الأوسط وهو يشير في كتاباته إلى القصور والمغالطات المنهجية والموضوعية في الدراسات الاستشراقية، وسعى إلى بث روح النقد في عدد من دارسي الشرق الأوسط والعالم الإسلامي ومراجعاته النقدية لمؤلفات المستشرقين التقليدية مثل جب من أجل زعزعة سلطة الاستشراق التقليدي ونقده وتصدى أوين لكبار المستشرقين مثل برنارد لويس وأظهر بؤس دراساتهم ومناهجهم تجاه الشرق[3].

---

[1] المرجع السابق، ص 25-42.

[2] إبراهيم محمد محمود، كيف ينظر المثقف العربي إلى الاستشراق؟، مجلة المستقبل العربي، العدد 137، بيروت، 1990، ص 56.

[3] عبد النبي أصطيف: "الاستشراق الأمريكي من النهضة إلى السقوط، مرجع سابق، ص27.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

كان أوين من أبرز مشجعي إدوارد سعيد على مشروعه الاستشراقي في حين اعتبر سعيد نفسه كتابات أوين في التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط من أفضل الدراسات عن الشرق الأوسط خاصة في استحضار العلوم الإنسانية المعاصرة وامتحانها الذاتي المستمر واستجابتها الحساسة لمادتها المدروسة[1] .

4. المدرسة الروسية:

هناك جوانب مضيئة في الاستشراق الروسي الذي بدأ الاهتمام بالشرق والمنطقة العربية منذ العصر الحديث. ولكن آفاقه ارتقت في القرن التاسع عشر بشكل ملحوظ مع تزايد عوامل التفاعل بين الروس والمسلمين والعرب خاصة في مجالات الثقافة والسياحة والزيارات والمصالح الاقتصادية والبعثات الدراسية، وظهرت كتابات من مستشرقين روس أمثال بيرسفيثون وبويوشوكوف وكوسويو كيوفلييير وبوشكين وغوغولوبيساريف وكراتشوفسكي صاحب كتاب "تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب[2]."

وقد حاول هؤلاء المستشرقون دراسة التاريخ العربي والدفاع عنه تجاه الهجمة المركزية الأوروبية الغربية في كتابة التاريخ الجغرافي العربي الأوسع، وتأكيد المكانة الرائعة للحضارة العربية في تاريخ البشرية. في حين ظهرت مدرسة استشراقية سوفيتية تندرج ضمن جهود المدرسة الاستعمارية الاستعلائية فيها فرين وساخالييف وفولكوف وبتغولييف وكورشور ومالوفوماشانوف ممن لهم مكانة مرموقة في عالم الاستشراق الروسي والأوروبي[3] .

وبهذا فإن الاستشراق الروسي شرقي في نزعته أقرب إلى الإنصاف والبحث عن الحقيقة على أساس السياسة الروسية لا مصالح استعمارية له في العالم الإسلامي والوطن العربي ولكن الحقيقة بأن الاستشراق الروسي لم يصل إلى مرحلة النضج والعمق في التحليل والدراسة وبناء المدرسة الاستشراقية كما كانت في الغرب ولا تزال إلى الآن خاصة في إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة [4]

---

[1] إبراهيم محمد محمود، كيف ينظر المثقف العربي إلى الاستشراق، مرجع سابق، ص40.

[2] سهيل فرح: "الاستشراق الروسي، نشأته ومراحله التاريخية"، مجلة الفكر العربي، السنة 5، العدد 31، 1983، ص 261 – 262

[3] المرجع السابق، ص 263

[4] المرجع السابق، ص 264.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

5. المدرسة الألمانية:

تختلف ظروف الاستشراق الألماني عن سواه من الاستشراق الأوروبي أو الأمريكي لأنه بالأساس لا يحتوي على ماض استعماري ثم موقفه من بعض الدول العربية التي تعاطفت مع ألمانيا كراهية في بريطانيا وفرنسا في مرحلة الحرب العالمية الثانية والتي حددت مواقف بعض المستشرقين من الاهتمام بالقضايا الإسلامية والعربية فيما بعد. والاستشراق الألماني ليس فيه حيادية البعض مع العرب والآخر ضدهم فقد قام المستشرقون الألمان بالاهتمام بالمخطوطات وتحقيق قسم منها ووضع الكتب أمثال فلوجيل وإيفالد فاجنر. إلا أن أشهر المستشرقين الألمان هو من درس الأدب العربي في كتابه الشهير (تاريخ الأدب العربي) وهو كارل بروكلمان رغم بعض السلبيات التي أثيرت حوله. وهناك إنجازات ألمانية أخرى منها تأليف هانزفير "العربي – الألماني" كمعجم، وظهور مركز ومعاهد لتعليم اللغة العربية ومعاهد استشراقية وترجمات من اللغة الألمانية لدراسة الأدب ولكنها وفق نظرة ذاتية تحاول نقل صورة غير صحيحة عن الطعن بالإسلام والموقف الإسلامي من المرأة [1].

وظهرت عدة مجلات تهتم بالآداب العربية والإسلامية ومن أهمها "عالم الإسلام" للمستشرق شنيفان فشيلد تهتم بالتراث والحداثة في الإسلام ومجلة "المشرق" يرأسها أودوشتاين باخ تعنى بالأمور المعاصرة من العالم الإسلامي ويمكن التعرف على أبرز الاتجاهات الاستشراقية في ألمانيا من خلال ثلاثة اتجاهات. الاتجاه الأول المهتمون بالتراث العربي الإسلامي حققوا ودرسوا وألفوا فيه منذ عدة سنوات أبرزهم بروكلمان وفرايتاج وروكرت وسيمون فايل ومارتن هارتمان وأوجست فيشر ونولدكه وآدم ميتز وآنا ماري شيمد الحاصلة على جائزة السلام عام 1995 من رابطة دور النشر الألمانية[2].

والاتجاه الثاني هم من المستشرقين في اختصاص التراث لا سيما أعضاء جمعية المستشرقين الألمان تأسست في عام 1845 وعقدت في نهاية عام 1998 مؤتمرها السابع والعشرين في بون بمشاركة 1500

---

[1] محمد أبو الفضل بدران: "الاستشراق الألماني المعاصر"، مجلة آفاق الثقافات والتراث، العددان 22– 23، دبي، 1998، ص 58.

[2] المرجع سابق، ص62.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

عضو وظهر من خلال هذا التوجه أعضاء شباب جدد يدعون إلى التجديد في الاستشراق فضلاً عن الجيل الأول من هذا الاتجاه وهو فيلد ونويفيرت وفالتر ومونكا وملوبورك وكريمر وغيرهم[1].

والاتجاه الثالث هو الاستشراق المعاصر الذي يهتم بالشرق الأوسط المعاصر من خلال (جماعة الاستشراق الألماني المعاصر – دافو) التي تأسست عام 1994في هامبورج برئاسة أودوشتاين باخ وتضم نحو 500 عضو وعقدت مؤتمرها الخامس في نهاية عام 1998 ولها اهتمامات جديدة بعيداً عن الاتجاه الاستشراقي التقليدي مثل قضايا السياسة والدراسات الاجتماعية للبلدان الإسلامية والروابط الاقتصادية والنظم السياسية والعلاقات معها في الشرق وجغرافية العمران والإعلام وتبتعد عن الاهتمام بالتراث نحو القضايا[2] .

وهكذا فإن الاستشراق الألماني رغم قدمه منذ القرن الثاني عشر الميلادي إلا أن البداية الحقيقية تعود إلى عهد قريب نضج على أيدي كبار المستشرقين المهتمين بالفلسفة الإسلامية والشريعة والفلك والنحو والمعاجم ولذلك الجيل الجديد من المستشرقين باتوا غير مهتمين بالتراث بل بالقضايا المعاصرة في الشرق. ويبقى الاستشراق الألماني بمعزل عن الاستشراق الأمريكي والبريطاني والفرنسي له اتجاهاته ولم يتأثر بالتيارات المعادية للعرب والمسلمين في أوروبا والولايات المتحدة وأكثر إنصافاً وموضوعية تجاه الحضارة العربية الإسلامية[3] .

6. المدرسة الإيطالية

ترتبط إيطاليا بروابط تاريخية وجغرافية وثيقة بالشرق منذ قرون سحيقة، تلك الروابط التي تأرجحتْ بين مدٍّ وجزر وبين السعي في تحقيق أهداف سياسية واستعمارية، وعلى الرغم من غلبة هذه الأهداف على الاستشراق الإيطالي؛ فإنه قد صاحبه في نفس الوقت اهتمام علمي واضح. وبدأتِ الجامعات الإيطالية تهتمُّ بالدراسات الإسلامية؛ فقامتْ جامعة بولونيا سنة 1076 بالاهتمام بالعلوم العربية، وتلتْها جامعة نابولي عام

[1] فايشر ب، الشرق في مرآة الغرب، دار سرس للنشر، تونس، 1982، ص 65 .

[2] المرجع السابق، ص 72.

[3] محمد أبو الفضل بدران، الاستشراق الألماني المعاصر، مرجع سابق، ص64.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

1224، ثم جامعات: مسينا، وروما، وفلورنسا، وبادوا، ثم أخيرًا الجامعة الجريجورية التي اعتنتْ بصورة خاصة بالدراسات الإسلامية[1].

ويبدو أن أول إيطالي تعلَّم اللغة العربية وعُنِي بدراستها هو" جيراردو دا كريمونا، وومن الإيطاليين نجد أيضًا توما الإكويني (1274 - 1225)الذي اهتم بالدراسات الفلسفية، وخاصة الفلسفة العربية؛ إذ قضى جلَّ حياته باحثًا فيها، وساهم في نشر الفلسفة الرشدية على الرغم من محاربته إياها[2].

ومن أشهر مستشرقي هذه المدرسة، كايتاني، الأمير ليوني الذي يعد من أبزر المستشرقين الإيطاليين، فقد كان يتقنُ عدَّة لغات، منها: العربية والفارسية، عمل سفيرًا لبلاده في الولايات المتحدة، زار الكثير من البلدان الشرقية، منها: الهند، وإيران، ومصر، وسوريا، ولبنان، من أبرز مؤلَّفاته: حوليات الإسلام المكوَّن من عشرة مجلدات، تناولتْ تاريخ الإسلام حتى عام 35هـ، وأنفق كثيرًا من أمواله على البعثات العلمية لدراسة المنطقة، ويعد كتابه: الحوليات مرجعًا مهمًّا لكثير من المستشرقين[3].

7. المدرسة الإسبانية

يعدُّ أول استشراقٍ أوروبي ولد على أرض شبه جزيرة أيبيريا، وقبل أن يعرف مصطلح الاستشراق بدلالته المعروفة اليوم، ومن المعروف أن العرب فتحوا شبهَ جزيرة أيبريا في أوائل القرن الثامن الميلادي، ومنذ اللحظة الأولى لهذا الفتح بدأتْ عملية تحوُّل كبيرة في مجتمع هذه البلاد، وفي أوضاعها الدينية والثقافية. ووقد اعتنق معظمُ أهلِها الإسلامَ، ولم يمضِ أقلُّ من نصف قرن حتى تأسَّست في إسبانيا دولةٌ دينُها الإسلام ولغتها العربية، على أن بقيتْ في المجتمع الجديد أقلية احتفظتْ بديانتها المسيحية وولدتْ في أقصى الشمال نواة لمقاومة مسيحية، لم تلبث أن اتسعتْ دائرتها وتولَّدت عنها دويلاتٌ دار بينها وبين الأندلس الإسلامية صراعٌ طويل، استمرَّ على مدى ثمانية قرون، ورافقَ هذا الصراعَ السياسي والعسكري صراعٌ فكري، مثَّله من جانب المسيحية عددٌ من رجالِ الكنيسة ممن عاشوا في وسطٍ إسلامي، وأتقنوا اللغة العربية[4].

---

[1] عواجي، غالب، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المكتبة الذهبية. جدة، ط1، 1424هـ، ص101

[2] العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1964، ص23.

[3] زقزوق، محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مكتبة دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص18.

[4] مراد، يحيى، ردود على شبهات المستشرقين، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2006م، ص18.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وهكذا بدأ حوارٌ ديني لم ينقطعْ طوال تلك القرون، وهو حوار تسلَّح فيه عددٌ كبيرٌ من رجال الكنيسة بمحاولةٍ لمعرفةِ عقيدة الإسلام على نحوٍ موضوعي معتدل أحيانًا، وبصورة تهجُّم متحيز أحيانًا أخرى، غير أنه كان عليهم في الحالتين أن يكونوا على معرفةٍ واسعة بالعربية؛ بحيث لا تقتصر معرفتها على رجال الكنيسة، وبدأ يتدفَّق على الأندلس طلاب نصارى من جميع أنحاء أوروبا – بما فيها إنكلترا وأسكتلندا - وفتحتْ قُرْطُبَة أبوابَها على مصراعيها أمام طلبة العلم والمعرفة من مختلف أرجاء أوروبا، فنهلوا من معارفها، وتعلم الكثير منهم اللغة العربية، وقاموا بتدريسِ كتب العرب في جامعتهم؛ كمؤلفات ابن سينا، وابن رشد، وصارتْ تدرس في تلك الجامعات حتى نهاية القرن الخامس عشر، وكان أولئك الطلاب يناقشون مع المسلمين قضايا إسلامية متعمِّقة[1].

والواقع أن الثقافة العربية الإسلامية والتربية والتعليم انتشرتْ في إسبانيا المسلمة إلى درجة جعلت دوزي – المؤرخ المشهور – يقول: إن أغلب الناس في الأندلس أصبحوا قادرين على القراءة والكتابة، بل يمكننا أن نقول: إن كل فردٍ تقريبًا كان يعرف القراءة والكتابة، وقد انتقلت الثقافة العربية إلى المستعربين الإسبان، "وهم الإسبان النصارى الذين أقاموا في البلاد الإسلامية، وعاشوا تحت ظلِّ الحكم الإسلامي"؛ فقد سرتْ إليهم العادات الإسلامية، وتعلموا اللغة العربية وكتبوا بها، وألَّف بعضهم كتبًا بها، بل واقتنوا مكتبات عربية، أما أصل كلمة الاستعراب اللغوي من عرب عربًا: فصح بعد لُكْنَة، ويقال: عرب لسانه وأعرب فلان إذا كان فصيحًا في العربية، وإن لم يكن من العرب، وتعرَّب :تشبَّه بالعرب، واستعرب: صار دخيلاً في العربية، وجعل نفسه منهم[2].

إن كثيرًا من رجال الدين في الأندلس تعلَّموا اللغة العربية وألَّفوا بها، فقد نقل" يوحنا - "رئيس أساقفة إشبيلية – التوراةَ من اللاتينية إلى العربية، وذلك سنة 764م، كذلك نقل الأب" فيسنتي "ثمانية أجزاء من قوانين الكنيسة إلى اللسان العربي، وأهداها إلى الأسقف عبدالملك في أبيات من الشعر العربي، وصنَّف" ربيع بن زياد الأسقف "كتابًا في تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان، وآخر بعنوان الأنواء، وألف" بدرو ألفونسو " 1110 - 1062)م) كتابًا بالعربية، عنوانه: "تعليم رجال الدين"، ثم ترجَمه إلى اللاتينية، ومنها نقل إلى لغات

[1] عواجي، غالب، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، مرجع سابق، ص104.

[2] عواجي، غالب، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، مرجع سابق، ص106.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

كثيرة، وقد طواه على ثلاث وثلاثين قصيدة شرقية اقتبسها من حنين بن إسحاق، وكليلة ودمنة؛ لذلك إذا رغب الطالب الأسكتلندي أو الإنجليزي الاستزادةَ من أرسطو والتعمُّق فيه أكثر مما يسنحُ له في الترجمات اللاتينية الميسورة؛ فلا مفرَّ له من الرحيل إلى طُلَيْطِلة ليتعلَّم هناك كيف يقرأ كتب اليونان باللغة العربية[1].

وظهر أولُ كاتبٍ إسباني حاول أن يقدِّم عرضًا متكاملاً لتاريخ المسلمين في الأندلس، وهو خوسيه كوندي صاحب كتاب) :تاريخ الحكم العربي لإسبانيا)، وهو كتاب له فضلُ الرِّيادة؛ إذ هو أولُ مؤلف أوربي يقدِّم عرضًا متكاملاً لتاريخ الأندلس الإسلامية، يعتمد فيه صاحبُه على مصادرَ أصيلةٍ، مما اطلع عليه من مخطوطات مكتبة الأسكوريال، وأول ما يلفتُ النظر في كتابات كوندي هو التقديرُ الكبير للحضارة الأندلسية، والصورة المشرقة التي يقدِّمها للوجود العربي في إسبانيا، إلى حد الإلحاح على المقارنة بين ما بلغتْه بلاده في ظل الحكم الإسلامي من تقدُّم واذدهار، وما آلتْ إليه في أيامه من تخلفٍ حضاري وثقافي، وجاء من بعد كوندي باسكوال دي جايانجوس (1809 – 1897)، الذي شغل كرسيَّ الدراسات العربية في جامعة مدريد، ومن أهم منجزاته: كانتِ الترجمة الإنجليزية التي قام بها لقسمٍ كبير من "نَفْح الطِّيب" للمقري، وقد نشر هذه الترجمة في مجلدين كبيرين بعنوان: "تاريخ الأسر الحاكمة في إسبانيا"، وكان أبرز تلاميذه هو فرانسيسكو كوديرا (1836 – 1917) الذي أعطى الاستشراق الإسباني دفعةً قوية إلى الأمام[2].

ويعد كوديرا هو مؤسِّس الاستشراق الإسباني الحديثوقد أدَّى به إتقانه للعربية إلى شَغْل كرسيّ هذه اللغة في جامعتي غرناطة ثم سرقسطة، ثم أصبح أستاذًا للعربية في جامعة مدريد، وكان كوديرا يرى أنه لا سبيل لدراسة التاريخ الإسلامي لإسبانيا، إلا بعد نشر التراث الأندلسي بعد تحقيقه على نحو علمي، ولم تكن في إسبانيا آنذاك مطابع عربية، ولا عمال مهرة قادرون على صف الحروف، فقام هو نفسه بصياغة الحروف العربية، واتخذ من دارِه مطبعة، ومن تلاميذه عمَّالاً، وهكذا استطاع أن يُخرِج المجلدات العشرة من "المكتبة العربية الإسبانية"[3]

8.المدرسة الهولندية

[1]مراد، يحيى، ردود على شبهات المستشرقين، مرجع سابق، ص34.

[2]مراد، يحيى، ردود على شبهات المستشرقين، مرجع سابق، ص36.

[3]العقيقي، نجيب، المستشرقون، مرجع سابق، ص34.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أن الاستشراق الهولندي لا يختلف عن الاستشراق الأوروبي، في أنه انطلق مدفوعًا بالروح التنصيرية، وأن هولندا كانتْ تدور في الفلك البابوي الكاثوليكي[1]، وقد اهتمَّ المستشرقون الهولنديون باللغة العربية ومعاجمها، كما اهتمُّوا بتحقيقِ النصوص العربية، ومما يميِّز الاستشراق الهولندي وجودُ مؤسسة" بريل "التي تولَّت طباعة الموسوعة الإسلامية ونشرها في طبعتيها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة الكثير من الكتب حول الإسلام والمسلمين.

وأسَّست هولندا معاهدَ متخصِّصة؛ من أهمها: المعهد الملكي للغات، والمعهد الشرقي لدراسة الشرق والإسلام، وزخرتْ هولندا بالمكتبات الغنية بالتراث الإسلامي، مثل: مكتبة جامعة ليدن ، التي تضم نفائس المخطوطات، ومكتبة المجمع الملكي في أمستردام، ومن أهم مستشرقي هذه المدرسة إربنيوس، الذي يعدُّ مؤسِّس النهضة الاستشراقية بعد تأسيسه المطبعة العربية الشهيرة) بريل(، ومن أبرز المستشرقين الهولنديين سنوك هرجرونيه (1857م – 1936م)، الذي ادَّعى الإسلام وتسمى باسم الحاج عبدالغفار، وذهب إلى مكة المكرمة، ومكث ستة أشهر حتى طردتْه السلطات من هناك، فرحل إلى إندونيسيا ليعمل مع السلطات الهولندية المحتلَّة لتدعيم الاحتلال في ذلك البلد الإسلامي، ومن أعلام الاستشراق الهولندي أيضًا: دي خويه (1836م – 1909م)، وكذلك المستشرق فنسنك، والمستشرق دوزي، الذي يعد أشهر مستشرقي هذه المدرسة، مؤلِّف كتاب تاريخ المسلمين في إسبانيا[2].

ومن أبرز مستشرقي هذه المدرسة دوزي الذي تعلم البرتغالية، ثم الإسبانية، فالعربية، وانصرفتْ عنايته إلى الأخيرة؛ فاطَّلع على كثير من كتبها في الأدب والتاريخ، وقد حصل دوزي على درجةِ الدكتوراه من جامعة ليدن عام 1881، وأثناء زيارته لألمانيا وفِّق في العثور على مخطوطة الذخيرة لابن بسَّام الشنتريني في مكتبة جوته، فنقلها وانكبَّ على دراستها، وقد عُنِي دوزي بتحقيق ونشر طائفة قيمة من الكتب العربية، ما بين تاريخية وأدبية؛ مثل كتاب: نفح الطِّيب للمقري، ونشر مخطوطة الشريف الإدريسي" :نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، كما نشر الجزء الأول والثاني من كتاب" :البيان المغرب "لابن عذاري عام 1848[3].

المبحث الثالث: موقف المستشرقون من الْوَحْي الإلهي

---

[1] حثيثو، محد، ورقة من تاريخ الاستشراق، مجلة فكر وفن، ع 8، 1996، ص44.

[2] حثيثو، محد، ورقة من تاريخ الاستشراق، مرجع سابق، ص45.

[3] المرجع السابق، ص46.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

تعرض البي –صلى الله عليه وسلم– إلى إنكار ما جاء به منذ بداية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ ليعبده الناس حده لا شريك له، وإن هذه المسألة في إنكار دعوة محمد – صلى الله عليه وسلم– حول المفكرون أن يقيّموها على أسس وقواعد يقدمونها في سلسلة ينطلقون منها في تفنيد دعوة الرسول – صلى الله عليه وسلم– الذي يدعو إلى الإسلام ذلكم الدين الذي يلغي أي عبادة تكون عن غير طريقه، قال تعالى: **(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [1] . وهذا الأمر يقوم على مساحة من الحوار في أصل الإسلام، ولا يعني التصادم مع الآخر، ولكن جاءت كثير من المحالات للوقوف في وجه هذه الدعوة التي قادها محمد – صلى الله عليه وسلم– .

ومن أهم ما يعتمد عليه –صلى الله عليه وسلم– استناده إلى الْوَحْي الغيبي الذي يأتي عن طريقه التشريع إلى الرسول فهو في كل أعماله وأفعاله ينطلق من ذلك الْوَحْي الإلهي وقد نص القرآن الكريم على ذلك في وصفع للنبي – صلى الله عليه وسلم– **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ)**[2] . فكان الْوَحْي من أهم ما يواجهه غير المسلمين؛ لأنهم إذا استطاعوا أن يفندوا هذه القضية أو يثيرون حولها الشبهات فإنهم سيضربون الإسلام في أهم الأسس التي يأخذ منها تشريعاته، وتقوم عليها تعاليمه.

إن مسألة إنكار الْوَحْي ليست طارئة جديدة بل كانت مع كل الرسل في دعواتهم حيث جاء الأنبياء بنور الله فيقول الحق سبحانه وتعالى في عمومية مسألة الْوَحْي التي كانت سبيلًا للأنبياء لمعرفة نبوتهم **(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ)** [3] ؛ فالْوَحْي عام عند الأنبياء. إن هذه الحقيقة تقرر أن كل الذين آمنوا بالأنبياء السابقين عليهم السلام وبمحمد – صلى الله عليه وسلم– أقروا بالْوَحْي وصدقوا به وآمنوا به وهذه مسالة مهمة لابد من الإشارة إليها قبل مناقشة آراء المستشرقين في الْوَحْي وموقفهم من هذه المسألة؛ لأن معظم المستشرقين الذين يناقشون في هذه المسألة " من أهل الكتاب إما يهود يجهدون انفسهم لرد كل ما هو إسلامي إلى أصل يهودي. أو نصارى يمثلون رجال الدين الذين تخرجوا من كليات اللاهوت، وكلهم لا ينكرون الْوَحْي، لأنهم يعترفون بأنبياء التوراة والإنجيل"[4] .

---

[1] سورة آل عمران: 85.

[2] سورة النجم: 3.

[3] سورة النساء: 163.

[4] محمد، إدريس حامد، آراء المستشرقين حول مفهوم الْوَحْي: عرض ونقد، صيد الفوائد، د.ت، 2011م ،ص12

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وهذه النقطة مهمة في الكشف عن اتجاهات هؤلاء المستشرقين الذين لن يجدوا سبيلًا لإنكار الْوَحْي بعموميته أو مكانية حدوثه؛ لأنهم يتصلون بديانات سماوية تقوم في أساسها على الْوَحْي. وهذه نقطة متقدمة في النقاش، تبعدهم عن أولئك المشركين قديمًا أو حديثًا من (الملاحدة) الذي يرفضون فكرة الْوَحْي أساسًا ويظنون أنها ضرب من أشكال تتصل بواقع شخصي لا غيبي.

ولذلك جاءت أهم الشبهات حول الْوَحْي للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم– بإنكار الْوَحْي ونفي الرسالة عن الرسول الخاتم بدعوى تكذيب الرسول، والادعاء بانه افترى القرآن من عند نفسه، أو إنكار الْوَحْي واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بانه تلقى القرآن من عند غيره مع اختلافهم في هذا الغير من يكون؟.

لقد كثرت آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وكان بعضها رافضًا لموقف الْوَحْي برفض أن يكون القرآن الكريم من عند الله. وهذه المواقف جاءت عند كثير من المستشرقين من مختلف المدارس الاستشراقية، حيث سيتعرض لهم هذه المبحث، وهناك من وقف موقف موضوعي حيادي.

أولًا: المستشرقون وإنكار قضية الْوَحْي والرد عليهم:

يرى المستشرق الأمريكي دانكن بلاك ماكدونالد في مسألة مصدر القرآن علاقته بالوحي أن القرآن ليس من عند الله[1] ، إن هذا الموقف من طبيعة الوحي الذي يرفض أن يكون متصلًا بالله جل وعلا يصدر من مستشرق شديد التدين بالنصرانية، فهو بطبيعة الحال لا يرفض الحي في حد ذاته، وإنما يجد أن هذا الكتاب لا يجوز أن يربط بمصدر إلهي. وهذا المستشرق له مؤلفات عديدة أهمها "تطور الدولة والفقه والكلام في الإسلام"، وهذا يعني أن المستشرق مطلع على الإسلام عارف بكثير من التفاصيل عنه.

ويقول المستشرق الفرنسي كارادي فو " ظل محمد زمنًا طويلًا معروفًا في الغرب معرفة سيئة فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا ونسبوها له"[2] ، ومن هنا تظهر الصورة النمطية التي حاول كثير من المستشرقين ربطها بالدين الإسلامي، وتصوير صورة النبي محمد بصورة لا تتصل بالسماء بل ربطوها بالخرافة وغيرها، وذلك؛ ليؤثروا في الرأي العام عند الغربيين بأن محمد إنما هو صانع القرآن الذي يجعلهم بالتالي يربطن ذلك الكتاب بالخرافات والأساطير وهذا ما يمكن أن نفهمه بوضوح من كلام المستشرق الفرنسي الذي بيّن

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية، الاستشراق، القاهرة، د. ت، عن التعريف بكلمة الله، ع4، ص 224.

[2] المنظمة العربية للثقافة والعلوم، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، الكويت، 1985م، ص 42.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

هذا البعد في النظرة الغربية للإسلام والتي جاء تأثيرها واضحًا في آلة الإعلام الغربي حتى وقتنا هذا. ونجد أن المستشرق ويلز من المدرسة الإنجليزية قد رفض مصدر الوحي الإلهي للقرآن الكريم رفضًا قاطعًا حيث يقول في كتابه معالم تاريخ الإنسانية " إن محمدًا خو الذي صنع القرآن"[1].

إن الهدف من وراء ذلك الطعن في أصالة القرآن الكريم فقد سخروا لذلك رسائل كثيرة وسلكوا سبلًا عديدة أهمها الترجمة المشوهة للقرآن الكريم، باعتباره المعجزة الخالدة عند المسلمين، لكن الترجمة وسيلة من وسائل إيصال المعلمة إلى غير الناطقين بتلك اللغة، وهي همزة الوصل بين الثقافات، وأداة اتصال وتفاهم بين الشعوب والأمم[2]؛ لذلك يقول المستشرق جورج سيل من المدرسة الإنجليزية في مقدمته للترجمة الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم التي صدرت عام 1736 ما يدلل على موقفه من القرآن وبالتالي رأيه في قضية الوحي " إن محمدًا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح – مع ذلك– إن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن محاولة يسيرة"[3] ، ومن هذا الرأي الذي يتفق فيه اثنان من المدرسة الاستشراقية الإنجليزية على أن مصدر القرآن ليس إلهي ويردانه إلى محمد حيث في تلك الآراء أنه مؤلف هذا الكتاب نجد أن مترجم معاني القرآن الكريم يميل إلى ترجيح دخول معاونة لمحمد في هذه الخطة، ويصفها بأنها معاونة ليست بيسيرة، وهذا يفضي إلى الكشف عن المغزى من هذا الطعن الذي يقوم على أسس متهالكة فهذا المستشرق لا ينسب (الغير) لجهة معلومة بل يبقى مجرد تخمين أو تقدير لا يقوم على وقائع بحثية ذات دلالات علمية أو منطقية يستند إليها في هذا الادعاء، لأن الافتراض يحتاج إلى دعم علمي منطقي؟

إن الاتجاهات السابقة تظهر الهدف من أفكار المستشرقين المعادية للإسلام والتي تهدف إلى " تشويه الإسلام وحماية أوروبا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية"[4] ، وهذا واضح من خلال اللغة المستهلة في الحديث عن القرآن الكريم والتي تقوم على مجرد الرفض لفكرة

---

[1] ولز، هـ،ج، تاريخ معالم الإنسانية، ترجمة عبد العزيز باجاويد، د.ت، ج3، ص 626.

[2] الحداد، سعيد، المستشرقون وموقفهم من الدراسات العربية والإسلامية، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، رابطة الجامعات الإسلامية، 2006م، ج1، ص 70-71.

[3] زقزوق، محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 86-87.

[4] الحداد، سعيد، المستشرقون وموقفهم من الدراسات العربية والإسلامية، مرجع سابق، ص 62.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الوحي مع أن كل المستشرقين السابقين الذين عرض لهم البحث هم من أهل الكتاب الذين تعد قضية الوحي والتصديق به أمر محسوم ولا يحتاج إلى جدل. ويؤكد هذا ما جاء به المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه (باثولوجيا الإسلام): " إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس. وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا بل هو مرض مريع وبشكل عام يبعث على الخمول والكسل" ولا يتوقف عند هذا الحد في إيراد كلام لا قيمة له سوى تكريس الصورة النمطية للمسلمين والإسلام في الفكر الغربي الذي يستقى من هؤلاء معرفته عن عالم لا يوجد له أي تواصل معه إلا أن يرى أن على العالم إبادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالأشغال" [1]

يذهب المستشرق الألماني برت جريم إلى أن محمدًا لم يكن في بداية أمره يبشر بدين جديد ، ولكنه اقتنع بضرورة إصلاح مجتمعه في مكة الذي يعاني من الفساد ، فوضع خطة لمساعدة الفقراء عن طريق فرض ضريبة علي دخول الأغنياء ، ولكنه فهم من أن الحظ لا يؤاتيه بقبول هذ الحل من قبلهم آما أنه لم يتخيل خطة لصراع الطبقات على طريقة القرنين التاسع عشر والعشرين ، ومن هنا فقد استخدم فكرة الحساب يوم القيامة كوسيلة للضغط عليهم الزكاة لتطهير . أما المستشرق الإنجليزي مونتجمري وايت فينكر الوحي الإلهي وأن مصدر القرآن هو الخيال الخلاق الذي يتمتع به الرسول مثلما تمتع به بقية البشر الممتازين، كما يرجع إلى اللاوعي الجماعي طبقًا برأي فونج وقد حاول التوفيق بين هذين الرأيين إلا أنه يؤكد عمد تفسير الوحي بإصابة النبي بالهلوسة والصرع وغيرها من الأمراض كما أشار مستشرقين آخرين من أمثال المستشرق الفرنسي لوبون[2].

وعندما عالج المستشرق الهولندي اليهودي جولد زيهر هذا الموضوع في ثنايا بحوثه الإسلامية، فإنه أرجع القرآن الكريم إلى مصادر داخلية وخارجية، ويرى أن تبشير النبي العربي ليس مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصال بالعناصر اليهودية والنصرانية وغيرها، وتأثر بهذه الأفكار تأثرًا

---

[1] شامة، محمد وآخرون، عقائد وتيارات فكرية معاصرة، دار قطري بن الفجأة للنشر والتوزيع، الدوحة، ط1، 1993، ص 159.

[2] زاهد، محمد، موقف المستشرقين من الوحي: دراسة تحليلية، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونج، م3، 2006، ص 108.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وصل إلى أعماق نفسه فصارت عقيدة طوى عليها قلبه، كما صار يعتبر التعاليم واجبًا إليها، فأصبح – بإخلاص– على يقين بأنه أداة لهذا الوحي[1].

أما المستشرق الألماني بروكلمان – كغيره من المستشرقين الذين قلدهم– فيسعى التشكيك في صحة النص القرآني، وجمعه، وترتيبه؛ فزعم أن للصحابة دخلًا في نص القرآن وترتيبه، وانه قد زيد فيه ونقص منه وقد اعتمد في رؤيته تلك على نتائج دراسات غيره من المستشرقين السابقين؛ كـ: (حياة محمد، وتاريخ القرآن لنولدكه، وحياة محمد ودعوته لشبرنجر، وحياة محمد ودعوته لكريل، وحياة محمد وتاريخ الإسلام لموير وغيرها. وفي مقابل ذلك نجده قد أهمل المصادر العربية والإسلامية على كثرتها؛ فلم يعتمد سوى على عدد محدود وقليل منها) ؛ يتصيد منه ما يدلل به على أغراضه ويخدم أهدافه. وتلك الطريقة تعد منهجًا عاما عند غالب المستشرقين؛ إذ أن غالبهم يعتمد على عدد معين من مصنفات علوم القرآن دون غيرها في دراستهم لعلوم القرآن والتفسير، ويهملون المصادر القرآنية الأصيلة، ويحتفون بدراسات المستشرقين السابقين؛ بل إنهم يعيبون على المستشرق الذي يعتمد على المصادر الإسلامية ويترك إنتاجهم، ومن أمثلة ذلك: انه لما ألف ناصر الدين دينيه كتابه (محمد رسول الله) ثارت ثورة المستشرقين، واخذوا عليه أنه لم يقم وزنًا لإنتاجهم في السيرة النبوية، وان اعتماده إنما كان على ابن هشام وابن سعد[2] .

وقد عمد بروكلمان إلى التشكيك فيما هو متواتر قطعي كتواتر القرآن الكريم؛ فإنه هنا يقلد غيره في تصديق ما هو ادنى إلى الكذب، والافتراض والتخمين في مهمات مسائل علوم القرآن وفقا لأهوائهم وأغراضهم، مع البعد التام عن الموضوعية والأمانة العلمية؛ فتبع نولدكه -قصدا– في تخمينه وافتراضه ترتيبًا زمنيًا لآيات القرآن الكريم؛ مخالفا بذلك ما هو مقرر لدى علماء المسلمين من كون ترتيب الآيات أمرًا توقيفًا لا شبهة فيه ومتخذًا ذلك مدخلًا للطعن في صحة القرآن، وتضارب أحكامه، وخضوعه لظروف الزمان والمكان.

ومن اغرب افتراضاتهم فيما يتعلق بعدم جمع الرسول –صلي الله عليه وسلم للقرآن –جمعا رسميًا افتراضهم: أن النبي صلي الله عليه وسلم لما كان مؤمنا بان العالم لن يستمر بعد وفاته، وان الساعة ستقوم قبل موته

---

[1] المرجع السابق، ص 108.

[2] مقدمة الترجمة العربية لكتاب بروكلمان "تاريخ الأدب العربي "ترجمة: محمود فهمي حجازي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993 م، ص5.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أو بعده مباشرة لم يجمع القرآن الكريم ولم يعين من يخلفه، مستندين في افتراضهم الغريب هذا إلى قوله صلي الله عليه وسلم: "بعثت أنا والساعة كهاتين[1].

ومن افتراءات بروكلمان أنه يعمد إلى نفي حقائق قرآنية ووقائع تاريخية مرتبطة بنزول القرآن الكريم وجمعه، وغير ذلك، من خلال إثارة الشكوك والمبالغة في النقد إلى حد الإلغاء لكل ما يتعارض مع آرائهم وأهدافهم ؛ فبروكلمن مثلا: لا يثق في شيء من سيرة النبي صلي الله عليه وسلم قبل الهجرة؛ لأنه لا ذكر لها في القرآن الكريم[2].

إن مما ينبغي الإشارة إليه هنا: أن الأخطاء المنهجية التي وقع فيها بروكلمان في معرض حديثه عن موضوعات تتعلق بالوحي القرآني مردها إلى خطا رئيس وقع فيه المستشرقون؛ وإن شئت فقل: أوقعوا أنفسهم فيه؛ ذلكم الخطأ الذي ترتبت عليه كل تلك الأخطاء هو اعتقادهم المسبق بـ "بشرية القران الكريم." لقد تأثر المستشرقون بمنهج كان قد سبق تطويره في الغرب لنقد ما يسمى بالكتاب المقدس، عرف في ذلك الوقت بـ (النقد الأعلى والأدنى)، كما يعرف كذلك بـ (النقد التنقيحي والنقد العالي) وهما شكلان من أشكال نقد الكتاب المقدس، الهدف منهما: فحص نصوص الكتاب المقدس، وتحديد كاتبها، وتاريخ كتابتها؛ فالنقد الأدنى: يهتم بمحاولة إيجاد الصياغة الأصلية للنص أو الشكل الأصلي للنص عند إنتاجه؛ إنما النقد الأعلى: فيهتم بإثبات مصداقية النص ذاته من عدمها؛ فيطرح أسئلة مثل: متى كتب هذا النص فعلا؟ وأين؟ ومن هو الكاتب الأصلي لهذا النص؟ ومن أي مصادر سابقة انتج [3].

وبالتدقيق في دعوى إنكار الوحي الإلهي نجد أن الفارق بين المشركين والمستشرقين الصبغة البحثية الموجودة في كتابات المستشرقين والتي لا تقوم على قواعد علمية سليمة في الرفض لقضية الوحي، وقد أشار المستشرق المجري من أصل يهودي جولد تسهير الذي عرف بنقده للإسلام وبغزارة إنتاجه فيما يخص الإسلام. فقد نسب المعرفة الدينية التي تلقاها الرسول محمد– صلى الله عليه وسلم– إلى عنصرين داخلي

---

[1] عزوزي، حسن، مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ط1، 2003م، ص55.

[2] المرجع السابق، ص 45.

[3] رفاعي، أحمد عبد الله، الوحي القرآني: دارسة تقويمية لآراء المستشرق الألماني بروكلمان، ورقة بحثية في مؤتمر نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، الجمعية السعودية لعلوم السنة، 2010م، ص 2264.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وخارجي[1] حيث يقول في كتابه " العقيدة والشريعة في الإسلام" إن النبي العربي ليس إلا مزيج منتخب من معارف دينية مسيحية ويهودية، وقد تابع المستشرق الإنجليزي اليهودي ميرجليوث هذا الرأي حيث يرى أن مصدر القرآن مأخوذ من الروايات المسيحية واليهودية[2].

لقد تبين من مواقف المستشرقين عدم استنادهم إلى أسس واضحة في التعامل مع الوحي فجل ما يدعيه هؤلاء المستشرقين ما هو إلا افتراء محض، وحسبنا دليل هو إسلام عدد كبير من اليهود والنصارى الذي يعد حجة قائمة على صدق ما جاء به الوحي، إذ لو تبين لهم أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم– تتلمذ على يد علمائهم ويتلقى عنهم ما يدعو إليه لانفضوا من حوله ولعادوا إلى دينهم، ولم تكن لهم تلك المنزلة الرفيعة والدعوة على الإسلام والذود عنه.

إن الرد على كافة هذه الشبهات إنما يكون من خلال إعادة النظر فيما قدمه هؤلاء المستشرقون حيث نجد أن شبهاتهم على الإسلام لا ترد إلى أدلة مقنعة، بل جاءت عن طريق أدلة خاصة تنطلق من افتراءات المشركين السابقين بأن قالوا عن محمد شاعر وكاهن أو نسبوا القرآن لغير محمد، ومع ذلك فإنك لا تجد دليلًا يصمد أمام القرآن ولا أمام الإسلام الذي يسير بتأثير وإقناع العقل لا السيف والبطش.

وأما الرد على قضية تداخل نصوص القرآن مع اليهودية والنصرانية فهذا راجع إلى مصدرهما الواحد بل هو دليل على ما كان لا بد أن يحملهم على تصديق ما جاء فيه القرآن. لقد بين العديد من الكتّاب موقف المستشرقين الذي يقوم على العناد وإثارة الشبهات حول القرآن فقط من أجل هدم الدعوة الإسلامية ومحاولة السيطرة على الآلة الإعلامية الغربية خوفًا من تأثير الإسلام فجاءت هذه المسائل من أجل إثارة الشبهات حول القرآن والوحي الإلهي.

ثانيًا– المستشرقون الذين تناولوا الوحي الإلهي بشكل موضوعي

إن قضية الموضوعية في التعامل مع العلاقة الفكرية لا تعني أن ينسجم الموضوعي مع الفكر الذي يدرسه أو أن يتأثر به إلى حد الموافقة بل على العكس قد يكون رافضًا لفكرة التحول إليه في حين لا يجد غضاضة في بيان وجهة نظره، كما يرى الحقيقة ماثلة أمامه دون تزييف أو حقد أو ادعاء.

---

[1] تسهير، جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة يوسف موسى، القاهرة، د.ن، ط1، 1948، ص12.

[2] العاني، عبد القادر، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مطبعة العاني، بغداد، 1973، ص10.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وإن بعض المستشرقين الذين درسوا الديانات ابتغاء العلم الموضوعي كانت لهم بعض المواقف التي تسهم في التعبير عن الموضوعية الحقيقية فنجد من ذلك المستشرقة الإيطالية لورا فاغليري التي درست الإسلام بروح علمية منفتحة لم تقف خلف أحكام جاهزة عن الإسلام تزّوج للشبهات والاتهامات فقد نقدت آراء بعض المستشرقين الحاقدين على الإسلام وفسرت نجاحات الإسلام بالظروف المادية المحيطة به، ووقفت موقف من النبوة موقفًا واضحًا حيث تقول " وقد أزعج هذا التحول السياسي والديني طائفة من الناس. ولكن كثيرًا منهم كانوا عميًا أو كانوا يغضون أعينهم عمدًا. انهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن القوة الإلهية وحدها كان في ميسورها أن تقدم الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة"[1]

إن هذا الموقف بعبر عن موضوعية لم تلغ موقف هذه المستشرقة من الوحي الذي لم تخص له ديانة دون غيرها، بل عبرت عن طريق تفسير الظواهر التي شاهدتها وعرفتها عن الإسلام من أن الدين الذي انتشر بهذه الطريقة لم يكن ليكون دون أسباب يمكن أن ترد إلى القدرة الإلهية. وقد ناقشت جانبًا نفسيًا مهمًا في التوجس والخوف المصاحب لانتشار الإسلام.

إن هذه المستشرقة مثلت موضوعية علمية في التعامل مع الإسلام لا لأنها وقفت إلى جانبه بل لأنها فسرت هذا العلم الذي جاء به الإسلام باتجاه يقرأ الواقع قراءة سليمة تقوم على أسس واضحة في تفسير الظواهر ولا تتركها لمجرد الأهواء.

وكذلك نجد أن المستشرقة الألمانية ماري شيمل، وقد تناولت النظرة الغربية النمطية التي قامت على أن العقيدة الإسلامية عقيدة منحرفة، تشوه الحقائق حيث حاولت أن تغير هذه الصورة النمطية التي لا تستند إلى دليل علمي حيث أجابت على استفسارات بهذا الخصوص قائلة " هذا اتهام خاطئ وجهه مسيحيو القرون الوسطى إلى الإسلام، ومسيحيو القرون الوسطى اعتبروا الإسلام هرطقة مسيحية، بل إن بعض أساطير القرون الوسطى تحكي أن محمدًا كان كاردينالًا استاء لعدم تعيينه بابا، فقام بالانفصال عن الكنيسة وأسس ديانة جديدة"[2]

---

[1] عماد الدين، خليل، قراءة في كتاب الدفاع عن الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2009، 158.

[2] طماشي، محمد وكفتارو، أحمد، عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام، دار المحبة، دمشق، ط1، 1991، ص60

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

إن هذا الحديث الذي يصدر عن المستشرقة الألمانية شيمل يبين أسباب حصول الإسلام على هذه المكانة السلبية في نفوس الغربيين إذ جاءت كما بيّنا – سابقًا– قائمة على ما جذّره المستشرقون الحاقدون من استمرارهم فيما خلفته العصور الوسطى وقد كانت منصفة من حيث أدائها للأمانة التاريخية المتمثلة في الكشف عن السوء المضمر ضد محمد – صلى الله عليه وسلم–.

كما يعد المستشرق الفرنسي موريس بوكاي من أهم المستشرقين الذين عالجوا مسألة الوحي في الكتب السماوية، حيث يقول " إن أول ما يُثِير الدهشة في رُوحِ مَن يُواجِه نصوص القرآن لأول مرَّة هو ثراءُ الموضوعات العلمية المعالجة، وعلى حين نجدُ في التوراة – الحالية – أخطاءً علمية ضخمة، لا نكتشف في القرآن أيَّ خطأ، ولو كان قائل القرآن إنسانًا فكيف يستطيع في القرن السابع أن يكتب حقائق لا تنتمي إلى عصره، ليس هناك تفسير وضعيٌّ لمصدر القرآن"[1].

كما إنه أكد على " أنني "لم أجدِ التوافقَ بين الدِّين والعلم إلا يومَ شرعتُ في دراسة القرآن الكريم؛ فالعلم والدين في الإسلام شقيقانِ توءمان؛ لأن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يدعوانِ كلَّ مسلمٍ إلى طلب العلم، طبعًا إنما نجمت إنجازات الحضارة الإسلامية العظيمة عن امتثال الأوامر المفروضة على المسلمين منذ فجر الإسلام"[2].

ولا ننسى في هذا المقام الفيلسوف روجي جارودي الذي اعتنق الإسلام لأنه وجده يحترم الشرائع السماوية ويوقر رسالاتها، كما إنه يخضع العلوم والفنون للمبادئ الدينية السماوية، وجعلها وسائل لسمو الإنسان وارتقائه، لا لانحطاطه وتدميره. [3]

ويقول " لقد وجدت في الإسلام نظامًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا وأخلاقيًّا شاملاً للحياة، يَصلُح لإخراج البشرية من ورطتِها الحاضرة؛ حيث فَشِلت الرأسمالية والماركسية – كنظُمٍ وضعيةٍ – في إنقاذ الإنسان المعاصر من مشكلاته وما كان يَشغَلني هو البحث عن النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل، أو الإبداع الفني بالحياة، وقد مكَّنني الإسلام – بحمد الله – من بلوغ هذه النقط"[4].

---

[1] العاني، عبد القادر، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص11.

[2] المرجع السابق، ص12.

[3] طماشي، محمد وكفتارو، أحمد، عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام، دار المحبة، دمشق، ط1، 1991، ص61.

[4] المرجع السابق، ص 63.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الخاتمة

لقد بينت هذه الدراسة موقف المستشرقين من قضية الوحي، حيث تناولت الدراسة قضايا أساسية نظرية عامة بينت مفاهيم الدراسة التي انطلقت منها. وجاءت تمهيدًا من أجل الصول إلى حقيقة المواقف التي حملها المستشرقون في مؤلفاتهم حول الإسلام خاصة قضية الوحي التي تمثل نقطة مفصلية في التعامل مع الدين الإسلامي؛ لأن رفضها أو محاولة إثارة الشبهة حولها تجعل كل هذا الدين غير صحيح لأنه بذلك لا يستند إلى قوة إلهية.

وجاءت مواقف المستشرقين في إطارين الأول حاول إثارة الشبهة حول الوحي الإلهي بأن ربط القرآن الكريم باتجاهات بشرية لا تستند إلى قدرة إلهية، أو أن النبي– صلى الله عليه وسلم– كتبه بنفسه بمعاونة آخرين أو اعتمد على نصوص يهودية ونصرانية.

واتجاه آخر نظر إلى هذا الدين نظرة موضوعية لم تلغ فكرة الوحي عن هذا الدين حاولت معالجة ظاهرة الدين الإسلامي وفق معطيات تقرأ الواقع قراءة سليمة لا تلغي الآخر ولا تعني الانسجام معه. ولكن كانت تنظر نظرات موضوعية خالصة تقوم على أشكال السليم من حيث طبيعة التعامل مع المعطيات في ضوء مناهج بحثية واقعية تحسن قراءة المواقف بحيادية وموضوعية.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المراجع والمصادر

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1، 1974، (20/6).

إبراهيم محمد محمود، كيف ينظر المثقف العربي إلى الاستشراق؟، مجلة المستقبل العربي، العدد 137، بيروت، 1990م.

تسهير، جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة يوسف موسى، القاهرة، د.ن، ط1، 1948م.

جاسم، ناصر الملا، سيرة صلاح الدين الأيوبي للقاضي ابن شداد في الدراسات الاستشراقية الناطقة بالإنجليزية"، مجلة البحرين الثقافية، السنة 5، العدد 18، 1998م.

جاسم، ناصر الملا، صلاح الدين الأيوبي في الاستشراق الإنجليزي والأمريكي، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، 1992مم.

الحاج، ساسي سالم، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط1، ج1، 1993م.

حثيثو، محد، ورقة من تاريخ الاستشراق، مجلة فكر وفن، ع 8، 1996م.

الحداد، سعيد، المستشرقون وموقفهم من الدراسات العربية والإسلامية، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، رابطة الجامعات الإسلامية، 2006م، ج1.

دائرة المعارف الإسلامية، الاستشراق، القاهرة، د. ت، عن التعريف بكلمة الله، ع4، ص 224.

رفاعي، أحمد عبد الله، الوحي القرآني: دارسة تقويمية لآراء المستشرق الألماني بروكلمان، ورقة بحثية في مؤتمر نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، الجمعية السعودية لعلوم السنة، 2010م.

زاهد، محمد، موقف المستشرقين من الوحي: دراسة تحليلية، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونج، م3، 2006.

زقزوق، محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مكتبة دار المعارف، القاهرة، 1983م.

زقزوق، محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مكتبة دار المعارف، القاهرة، 1983م،

سهيل فرح: "الاستشراق الروسي، نشأته ومراحله التاريخية"، مجلة الفكر العربي، السنة 5، العدد 31، 1983م.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

شامة، محمد وآخرون، عقائد وتيارات فكرية معاصرة، دار قطري بن الفجأة للنشر والتوزيع، الدوحة، ط1، 1993، ص 159.

الصباغ، محمد بن لطفي، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، القاهرة، ط3، 1990م.

صحيح مسلم، الإمام أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، بيروت، طبعة دار الفكر. ص140.

طماشي، محمد وكفتارو، أحمد، عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام، دار المحبة، دمشق، ط1، 1991م.

العاني، عبد القادر، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مطبعة العاني، بغداد، 1973م.

عبد النبي أصطيف: "الاستشراق الأمريكي من النهضة إلى السقوط. عولمة دراسة المنطقة"، مجلة المستقبل العربي، السنة 21، العدد 233، بيروت، 1998م.

عتر، حسن ضياء الدين، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1999م.

عريبي، محمد ياسين، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، الجلس القومي للثقافة العربية، الرباط،1991،

عزوزي، حسن، مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ط1، 2003م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة ، بيروت، 1379هـ. (27/1).

العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1964م.

عماد الدين، خليل، قراءة في كتاب الدفاع عن الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2009م.

عواجي، غالب، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المكتبة الذهبية جدة، ط1، 1424هـ.

فايشر ب، الشرق في مرآة الغرب، دار سرس للنشر، تونس، 1982، ص 65 .

الكردي، عبد الحميد، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، الرياض، ط1، 1992م.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

محمد أبو الفضل بدران: "الاستشراق الألماني المعاصر"، مجلة آفاق الثقافات والتراث، العددان 22– 23، دبي، 1998.

محمد، إدريس حامد، آراء المستشرقين حول مفهوم الْوَحْي: عرض ونقد، صيد الفوائد، د.ت، 2011م

مراد، يحيى، ردود على شبهات المستشرقين، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2006م،

مقدمة الترجمة العربية لكتاب بروكلمان "تاريخ الأدب العربي "ترجمة: محمود فهمي حجازي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993 م.

المنظمة العربية للثقافة والعلوم، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، الكويت، 1985م.

النبهان، محمد، الاستشراق: تعريفه ومدارسه وآثاره، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط1، 2012م.

النملة، علي، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1418هـ، ص 100

ولز، هـ.ج، تاريخ معالم الإنسانية، ترجمة عبد العزيز باجاويد، د.ت، ج3.